مع الشباب

الشباب

كيف يشعرون، وكيف يفكرون

١



د. عبد الكريم بكّار

دار القلم
دمشق

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، والصلاة، والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الشباب يمتلكون طاقة هائلة، وطموحات كبيرة، متدفقة، وهذا يجعل منهم العتاد الموثوق الذي تحقق الأمة الإسلامية من خلالهم رؤاها، وطموحاتها المستقبلية، ولهذا فإننا حين نتحدث عن الشباب، ومعهم، فإننا في الحقيقة نتحدث عن المستقبل، لكن الشباب بسبب ما يمتلكونه من خبرة بتقنية الاتصال، والتعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي يقعون في عين عاصفة التطورات الثقافية على مستوى العالم، وهم مستهدفون على نحو مكثف بثقافة العولمة، والاستهلاك، وبالمواد الإباحية، والمخدرة، أضف إلى هذ ا أن الشباب مع سعيهم الحثيث إلى الاستقلال، وسلوك طريق خاص، ومنفرد

يشعرون في أعماقهم بالحاجة إلى الاحتواء، والتوجيه بسبب ضعف خبراتهم في شؤون الحياة المختلفة.

إن كلمة (شباب) هي جمع (شاب) وتعنى كذلك حداثة الشيء، وأوان قوته، واشتداده، نقول: كنا أيام الشباب نفكر في كذا... أي في المرحلة الشبابية من أعمارنا، وهناك اختلاف في تحديد مدة الشباب، فهناك من يذهب إلى أنها تبدأ في الخامسة عشرة، وتنتهي في الرابعة والعشرين، وأنا لا أميل إلى هذا لأن هذه الفترة هي فترة (المراهقة) لكن كثيرين يرون أن مرحلة الشباب تبدأ في سن الثامنة عشرة، وتنتهي في سن الثلاثين، أو الخامسة والثلاثين، أو التاسعة والثلاثين، وتبدأ بعدها مرحلة (الكهولة) والتي تستمر تقريباً حتى الخامسة والخمسين، أو الستين، لتبدأ مرحلة الشيخوخة. هذه التقديرات تقريبية، ولو أننا قلنا: إن العشرينيات من العمر هي مرحلة الشباب لما كنا بعيدين عن الصواب.

لابد هنا من القول: إذا كانت مرحلة الشباب هي المرحلة الفاصلة بين المراهقة، والنضج، فإن علينا أن نشير إلى أن (الزمن) لا يتحكم بمفرده في تحديد المرحلة الشبابية، فأبناء (النخبة) يحظون بمستوى رفيع من التعليم الجامعي، وما قبل الجامعي يجعل نضج ابن العشرين منهم مساوياً لنضج من هم في الثلاثين من أبناء (الظل) أو الطبقة الفقيرة، والمهمشة.

إن مرحلة الشباب هي مرحلة انتقالية بامتياز حيث إن الشباب يعيشون مزيجاً معقداً من التغيرات الجسدية، والنفسية، والفكرية، والاجتماعية، وفهمها مفتاح لفهم كيفية تشكُّل الشخصية، وتبلور الأفكار، والقيم التي سترافق الفرد في بقية حياته.

في مرحلة الشباب يبدأ الفرد بالتخلي التدريجي عن سلوكيات الطفولة والمراهقة، وينطلق في رحلة البحث عن ذاته المستقلة محاولاً التخلص من بعض الهشاشة النفسية التي كان يشعر بها أيام المراهقة، لكنه في الوقت نفسه يشعر بأنه لم يصل إلى

مرحلة الاستقرار، والنضج الكامل. إن النصف الأول من مرحلة الشباب، يحمل في طياته بقايا نفسيات، وطرق تفكير المراهقين، ويحمل في القسم الثاني من هذه المرحلة تباشير وبوادر مرحلة النضج التي يتميز بها الكهول. تلك الطبيعة الانتقالية تترك في حياة الشباب طيفاً واسعاً من المشاعر، والتجارب التي قد تكون شديدة التباين، فالشباب يشعرون بقدر كبير من الحماس لتحقيق الأحلام والطموحات، ويشعرون كذلك بقدر كبير من القلق، والخوف الناتجين من عدم وضوح المستقبل، والمطالب الجديدة التي تقع على عاتقهم. الشباب يختبرون مشاعر قوية، ومتنوعة من الحب، والغضب، والأمل، والإحباط، وهذا طبيعي جداً بالنسبة إلى كل الذين لم يصلوا إلى مرحلة الاستقرار.

الشباب يعيشون كذلك حالة من الفضول الفكري التي تدفعهم إلى نوع من الشك في الأفكار التقليدية، والمعايير الاجتماعية

التي تربوا عليها، وهذا يحدث لهم، وهم يسعون إلى امتلاك رؤية مستقلة عن الحياة والأحياء.

الشباب أيضاً لديهم قدرة كبيرة على تخيل المستقبل، وعلى الابتكار، وحل المشكلات، ويمكن أن ينجزوا الكثير إذا ظفروا بالرعاية الكافية.

من الواضح أنه ليس لدينا علم نفس خاص بالشباب كما هو الشأن في الطفولة والمراهقة، وربما كان ذلك لأن الاتجاهات البحثية نظرت إلى مشكلات الشباب على أنها ثقافية، واجتماعية، أكثر منها نفسية، لكن التحديات التي يواجهها الشباب تجعلهم في حاجة إلى من يتفهم المشكلات النفسية، والسلوكية التي يعانون منها، وذلك من أجل تقديم الدعم الكافي، والملائم لهم.

هذه السلسلة: هذه هي الرسالة الأولى في سلسلة رسائل أرغب في توجيهها إلى الشباب، وهي في مجملها عبارة عن محاولات للاقتراب من روح الشباب، من أسئلتهم، ومهاراتهم، وقلقهم،

وتطلعاتهم، هي رسائل صغيرة في حجمها، لكنني أرجو أن تسهم في سد بعض النقص في الخطاب الموجّه إلى الشباب. أكتب هذه السلسلة وكلي إيمان بأن شبابنا قادرون على أن ينجزوا أفضل مما أنجزه جيلنا، وأن يرفعوا رايات النصر، والقوة، والعزة، والتقدم... التي عجزنا عن رفعها.

أود أن أقول في ختام هذه المقدمة: إنني لا أرغب في إعطاء هذه الرسائل طابعاً أكاديمياً، ولا أريد إثقالها بالمراجع، والمصادر، والتهميشات الكثيرة، إني أريد لها أن تكون أقرب إلى المناجاة، والمحادثات الدافئة، والقريبة من روح الشباب، وأذواقهم على قدر الإمكان.

والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

القسم الأول

كيف يشعر الشباب.

تمهيد

المشاعر ليست انفعالات عابرة، وإنما هي بنية عميقة يطل منها الشاب على ذاته، وعلى العالم من حوله. إن شبابنا يعيشون في مرحلة تتسارع فيها التحولات النفسية، والفكرية، والاجتماعية، وإن عليهم الوعي بذلك، وفهمه حتى يعيشوا حياة متوازنة بين الأحلام والطموحات، وبين الدوافع والظروف والأدوات.

في هذا العصر المضطرب يكون للسكينة، والطمأنينة أهمية خاصة في الشعور بالهناء، وفي النجاح في الأعمال، وقد قال الله تعالى: ((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب))[1]. إن الطمأنينة قوة داخلية تجعل المرء يشعر بالاستقرار في ظل صدمات الواقع، وضجيج المعلومات الوافدة

[1] سورة الرعد: 28.

من كل مكان... الطمأنينة هي حاجز صد في وجه القلق والاكتئاب اللذين يعاني منهما كثير من شباب العالم. الطمأنينة الناتجة عن مناجاة الله تعالى، وذكره، والصلة به – تباركت أسماؤه – تقويّ إرادة المؤمن في الصمود في وجه المغريات، والمواد الإباحية، وإغواء المواد المخدرة، وكل أشكال الإدمان. يقول سبحانه: ((ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة أعمى))[2] إن الضنك الذي يعاني منه المُعرض عن ذكر الله تعالى هو ضيق في الصدر، وقلق في النفس، وحيرة في القلب، وشعور بالفراغ، وافتقاد للمعنى، وإن لدينا ما لا يحصى من الأمثلة والشواهد على أن توفر المرفهات المادية لا يسعد القلب، ولا يجعله يعيش في سكينة، وإنما يوفر الراحة للجسد، ويقلل من المعاناة، والجهد العضلي، أما السعادة العميقة فهي تنبع من الداخل، من الإيمان بأن المرء يمضي في الطريق الصحيح، ومن الاعتقاد بأنه يعمل ما يرضي الله تعالى، وما يجعل منه إنساناً صالحاً يقتدي به غيره. إن المنظومة العقدية الإسلامية، والسلوك وفق تلك المنظومة

[2] سورة طه: 124.

يوفران رفاهية روحية ودرجة عالية من الأمان النفسي، والذي يحتاج إليه كل واحد من الشباب والشيوخ.

الشباب اليوم في حاجة إلى الوعي بدور الذكاء العاطفي، وحسن إدارة المشاعر في القبول والاندماج الاجتماعي، وفي النجاح المهني. إن هناك من الدراسات والأبحاث ما يؤكد على أن تأثيرهما في النجاح المهني يفوق الذكاء العقلي التقليدي في كثير من المجالات، وهذه الفكرة مثيرة، وقد تكون مستغربة من قبل كثير من الشباب. والحقيقة هي أن دور العاطفة وذكاء المشاعر في النجاح في الأعمال أكبر مما يتم الاعتراف به، أو ملاحظته، وأود توضيح ذلك لأهميته البالغة:

1- الناس يتعاملون مع الشخص قبل التعامل مع أفكاره، ويثقون به قبل الاقتناع بتحليله، وأنا من خلال تجربتي الشخصية أدرك أن من الصعب عليّ أن أنظر بعين الاهتمام لأي كلام يصدر من شخص لست مقتنعاً بتوازنه الشخصي، وإن المجال المهني هو ميدان أخلاقي بشري قبل أن يكون ميداناً فكرياً.

2- القرارات في المؤسسات، والشركات تمر عبر العواطف قبل مرورها عبر المنطق، وإن من الملاحظ أن الموظفين حين يكونون في اجتماع، فإنهم لا يقبلون الاقتراح المنطقي إذا ضايقهم، أو حطّ من كرامتهم. إن الذكاء العقلي يصنع قراراً جيداً، لكن الذكاء العاطفي يصنع البيئة التي تتقبل ذلك القرار.

3- التقدم الوظيفي يعتمد على العلاقات أكثر من اعتماده على المهارة الشخصية، وذلك لأن مما يجعل الموظف يتقدم على أقرانه الثقة التي يحظى بها، والتعامل الحكيم مع الشخصيات الصعبة، وتحمل الضغط، ومهارة التواصل، وهذه مهارات عاطفية، وليست عقلية، ومن هنا نفهم لماذا يترقى أشخاص كثيرون من أصحاب القدرات العقلية المتوسطة على حين يظل أشخاص أصحاب قدرات عقلية فذة في الخلف؟

الذكاء العاطفي يمنح صاحبه قبولاً اجتماعياً واضحاً أيضاً، وذلك لعدد من الأسباب والاعتبارات، منها:

1- أصحاب الذكاء العاطفي يفهمون منطق ((المشاعر)) قبل منطق الكلمات، وإذا دققنا في هذا الشأن فسوف نجد أن الناس لا يتعاملون مع الكلمات، بل مع النبرة، والابتسامة، وتعابير الوجه، وما يصحب ذلك من إيماءات الاحترام، والتقدير، وإن الذكي عاطفياً يقرأ المشاعر الخفية: التوتر، الخجل، الإحراج، الانزعاج، الحماس... وحين يستجيب لهذه المشاعر بطريقة مناسبة يشعر الآخر بأنه مفهوم، وهذا يجعله مقبولاً لديه على الصعيد الاجتماعي.

2- الشاب الذكي عاطفياً يولّد شعوراً بالراحة النفسية لدى من حوله، فنحن نلاحظ أننا نحب بعض الناس دون أسباب واضحة، ومحددة، وذلك لأنهم يضفون على أجواء اللقاء الطمأنينة، والسكينة.

3- إن الذكاء العاطفي يجعل صاحبه:

- يتكلم بهدوء.
- لا يقاطع الآخرين.

- لا يتعالى على أحد.
- لا يطلق أحكاماً قاسية.
- يتجنب إحراج الآخرين.

هذه الأمور جميعها محببة لدى الناس، هي وأصحابها.

الرسالة التي أريد أن أبعث بها عبر هذا التمهيد لكل شاب وشابة هي أن النجاح ليس صراع عقول، وأفكار، بل تلاقي قلوب وأرواح، وإن إدارة المشاعر هي فن الدخول إلى قلوب الناس، ومن يدخل القلوب يسبق دائماً من يحسن تقديم الأفكار، وأوراق العمل.

إن الناس ينسون كثيراً مما يسمعون، ويقرأون لكنهم لا ينسون الكلمات والمواقف التي أثارت مشاعرهم، وحركت عواطفهم، وهذه نقطة جديرة بالتذكر الدائم.

الطبيعة الوجدانية لدى الشباب

الشباب يمتلك أعلى نقطة حرارة عاطفية في حياة الإنسان؛ فمرحلة الشباب هي الفترة التي يتقدم فيها الجسد بسرعة أكبر من سرعة تكوّن العقل، وتتكون فيها المشاعر قبل أن تتكون الحكمة. إن القشرة الجبهية الأمامية، هي المركز الأعلى في الدماغ المسؤول عن التنظيم، والتخطيط، واتخاذ القرار، وضبط الانفعالات، والتفكير المنطقي، ورؤية العواقب، هذا الجزء لا يكتمل نموه الا في منتصف العشرينيات (حوالي 24 – 26 سنة) أما الجهاز الحوفي ـ ولاسيما اللوزة الدماغية ـ فهو مركز العاطفة، والاندفاع، والحساسية الانفعالية، وهو يبلغ ذروة نشاطه بين 15 – 25 سنة).

ما الذي يعنيه هذا بالنسبة إلى الشاب؟

1- اختلال توازن طبيعي بين العقل والعاطفة، وذلك لأن الجهاز العاطفي يعمل بطاقته القصوى على حين أن مراكز

الضبط العقلاني تكون في حالة نمو، واكتمال، وهذا يعني أن يكون لدى الشباب عاطفية قوية، واندفاع أكبر من قدرتهم على التنظيم والتحكم. هذا لا يعني أن الشباب غير عقلانيين، لكنه يعني أن قوة المحرك أكبر من قوة المكابح، وأن الصوت الانفعالي أعلى من صوت التخطيط.

2- إن زيادة نشاط الجهاز الحوفي تجعل المكافآت السريعة تبدو أكثر إغراء، والنتائج البعيدة أقل حضوراً وجاذبية، وهذا هو التفسير المنطقي لعدد من الأمور، منها الميل إلى التجارب الجديدة، المغامرة، اتخاذ القرارات السريعة، عدم حساب المخاطر بالقدر الكافي.

3- لدى الشباب قوة في المشاعر يصعب ضبطها، وذلك بسبب النشاط الكبير للعاطفة – كما ذكرنا – ولهذا فإن الغضب لديهم يكون أسرع، والفرح أقل انضباطاً، والحزن أعمق، ويكون الحب مشحوناً بعاطفة جياشة، ويكون الخوف أكبر من حجمه

الحقيقي أحياناً، وإلى أن يكتمل نمو القشرة الجبهية سيكون من الصعب على الشاب تهدئة نفسه، أو تنظيم انفعالاته على نحو جيد.

4- في هذه المرحلة يكون التخطيط طويل المدى ضعيفاً نسبياً، وبما أن الجهة المسؤولة عن تقدير العواقب، والحدس بالمستقبل لم تكتمل بعد فإن تركيز الشباب يكون على الحاضر و(الآن) وليس على السنوات العشر القادمة.

5- الشباب يكونون حسّاسين جداً للنقد، والرفض، فالجهاز الحوفي يتفاعل بقوة مع الإحساس بالتهديد، والإهانة في حين أن العقل الجبهي الذي يوازن بين هذه الانفعالات لم ينضح بعد. لكن عليّ بعد هذا أن أقول: إن للبيئة والتجربة الشخصية دوراً لا ينكر في المساعدة على الموقف المتوازن والمنضبط، وذلك عبر التدريب العقلي، ومحاولة ضبط النفس، والتجارب الحياتية، وما يتلقاه الشاب من إرشاد، وتوجيه جيد، بالإضافة

إلى الالتزام الروحي، والأخلاقي، فهذه الأمور تسرّع من نضج القشرة الجبهية، ليكون هناك توازن مبكر بين العقل والعاطفة.

إن العاطفة التي يكتنز الشاب قدراً كبيراً منها هي الوقود الذهبي لكل اندفاع نحو الحياة، وهي ما يفتح القلب للتجارب، ويزرع فيه الشغف والطموح، لكن هذه القوة تحتاج إلى عقل يوجهها، وإلى وعي يضبط إيقاعها لذلك كان اللجوء إلى المختصين، والإصغاء إلى المرشدين، وأهل الخبرة من الأمور التي على الشاب استحضارها عند اتخاذ أي قرار مفصلي. التأني في القرارات، ووزن الأمور قبل الإقدام عليها يحمي الشاب من مخاطر الاندفاع، والتسرع، والندم بعد ذلك.

التساؤل حول الذات

يعاني كثير من الشباب من شيء من حيرة التساؤل حيث تكثر أسئلة من نحو: من أنا؟ وإلى أين أتجه؟ وهل أنا مثل زملائي؟ أو أدنى منهم؟ وهل أتفوق عليهم بشيء محدد؟ وما هو ذلك الشيء؟

علم النفس التطوري يشير إلى أن هذه التساؤلات هي تجسيد لأزمة هوية حقيقية تشكل محوراً لصراع داخلي كبير. هذه الأزمة تكون أشد وضوحاً بين سن (16–24) ويرى بعض الباحثين أن مرحلة الشباب هي المرحلة التي يكثر فيها التساؤل عن الذات، وعن وزنها الاجتماعي، وعن الاتجاهات الجيدة التي يمكن للشاب أن يمضي فيها سواء أكان ذلك على مستوى العقائد الكبرى، أم على مستوى التخصص الدراسي، أو الانتماء لمجموعات ومنظمات حزبية وتطوعية. إذا لم يجد الشاب

الأجوبة المناسبة على هذه التساؤلات، فقد ينعكس هذا على قدرته على اتخاذ قرارات ناضجة في المستقبل.

دور البيئة والمجتمع:

أظهرت دراسات حديثة أن الضغوط الاجتماعية، والمقارنة المستمرة التي يقوم بها الشباب على نحو دائم تفاقم الحيرة الوجودية لديهم. إحدى هذه الدراسات أظهرت أن 72% من المشاركين فيها يعانون من شعور متكرر بعدم اليقين تجاه مستقبلهم المهني، والاجتماعي، وذكروا أن هذا الشعور يتضاعف عند تعرضهم لمواقف فيها مقارنات اجتماعية، أو فيها إشارات متكررة لنجاح الآخرين، وتفوقهم على وسائل التواصل الاجتماعي. والحقيقة أن المقارنات كثيراً ما تجعل الشباب يشعرون بالنقص، وضعف الكفاءة لما تبرزه من تجارب الأثرياء والمبدعين، والموهوبين. إن ضعف الخبرة لدى الشباب تجعلهم يرون أنفسهم من خلال نظرتهم إلى غيرهم، وأظن أن

التخلص من هذا ليس من الأمور السهلة. وعليّ أن أقول هنا: إن قدراً غير قليل من صور النجاح، والتفوق التي يراها الشباب على وسائل التواصل الاجتماعي، ليس حقيقياً، بل هو مبالغ فيه لأغراض دعائية وتسويقية مع الأسف الشديد! ولهذا فإن على الشباب ألا يتفاعل كثيراً مع ما يرى.

إن الشباب يعيشون في عالم شديد التسارع، تتراكم فيه المعلومات، والمنتجات بصورة مذهلة مما يولّد لديهم الشعور بأن العالم يتقدم بسرعة أكبر من قدرتهم على اللحاق به، وهذا يُشعرهم بالعجز. شاب يدرس الهندسة، ويطلع على دراسات تفيد أن العديد من التخصصات الهندسية لن يكون له مستقبل واعد، وفي الوقت نفسه يشاهد شباباً في التاسعة عشرة من أعمارهم يحققون مداخيل وثروات كبيرة من خلال التجارة على الإنترنت، أو ريادة الأعمال، وهذا يولّد لديه الحيرة، وربما الإعراض عن إكمال دراسته للهندسة، وهذا كله بسبب أن

الشباب لا يملكون القدرة المطلوبة على تقييم التخصصات، والأعمال بصورة جيدة، وهذا يجلب لهم القلق، والإحباط، وقد يدفعهم في اتجاه مغامرات خاطئة.

على الرغم من كل السلبيات التي ذكرتها إلا أن من الواضح أن الحيرة الوجودية تحفز على البحث عن المعنى، وتفيد إحدى الدراسات أن الشباب الذين يواجهون ضغوطاً متكررة تتعلق بالهوية يميلون إلى تطوير قدرات أعلى على التحليل الذاتي، وعلى إدراك انعكاس أفعالهم على الآخرين مقارنة بمن يفتقرون إلى هذه التجربة.

إن هناك ما هو أسوأ من الحيرة، والقلق حول الهوية الشخصية، إنه (اللامبالاة) وعدم الاكتراث، والرضا بأي وضعية، وأي اتجاه تدفع إليه الظروف، والأحداث. إن الشاب غير المكترث يتجمد نموه الداخلي، ويفتقد البوصلة، ويعيش بلا معنى، ولا

التزام، مما يجعل شخصيته هشة، سطحية، يسهل استغلالها، أو دفعها نحو الأمور السيئة دون وعي منه، ولا مقاومة.

العطش للجدوى والمعنى

لدى الشباب عطش عميق، وقوي لفهم العوامل، والأسباب التي تجعل حياتهم ذات قيمة وجدوى، وإذا كان سؤال الهوية يتمحور حول: (من أكون؟) فإن الأسئلة تتمحور حول: (لماذا أنا هنا؟ ولمَ أفعل ما أفعله؟) هذه الحاجة الوجودية لمعنى الاتجاه، والفعل تتضخم لدى الشباب، لأن المرحلة التي يعيشون فيها هي المرحلة التي تتفتق فيها الأسئلة الكبرى لكن الإجابات تكون غير مكتملة. تشير دراسات علم النفس الوجودي[3] إلى أن مرحلة الشباب هي المرحلة التي تشهد أعلى درجة ارتفاع في مشاعر (الفراغ الداخلي) وتكون أشد ارتفاعاً في المجتمعات ذات الإيقاع السريع؛ ففي دراسة تمت عام 2021 على شريحة من الشباب الأمريكي (بين سن 18–24) ظهر أن 72% من

[3] هو تيار في علم النفس يركز على فهم الإنسان من زاوية المعنى والاختيار، والمسؤولية، والبحث عن الذات، وقد نشأ هذا التيار في منتصف القرن العشرين.

المشاركين يعانون من ضغوط البحث عن هدف للحياة، وهي ضغوط لا يتحدث الناس عنها، ولكنها مستقرة في الوجدان.

إن الشاب الذي يدخل الجامعة – مثلاً – يشعر فجأة بأن وجوده لم يعد مرتبطاً بأسرته، أو بالمدرسة التي درس فيها، بل بمصيره الشخصي، فيتساءل: هل أنا الآن أدرس ما يناسبني فعلاً؟ هل أنا أمضي في الطريق الصحيح؟ هل ستكون حياتي ذات قيمة إذا مضيت في هذا المسار؟ هل سأحصل على فرص العمل المناسبة؟ هذه الأسئلة لا تتموضع في العقل فقط، وإنما هي مشاعر أيضاً تموج في الصدر محدثة القلق، والتوتر. لدينا ما لا يحصى من الأمثلة على هذا: هذا شاب التحق بكلية الحقوق، وهو في التاسعة عشرة من عمره، لكنه شعر أنه لا يستمتع بدراسة هذا النوع من المعرفة، ولا يشعر بالحماسة لإكمال مشواره الجامعي فيه، وهو يقول في نفسه: لو غيّرت هذا التخصص، فسأضيع سنة من عمري، ولو بقيت فيه،

فسيضيع عمري كله. هذا الصراع بين ضياع الوقت القصير، والمعنى الطويل صراع وجداني معقد، لا يراه الكبار لأنه يحدث بالكامل في داخل النفس الشبابية.

في عام 2022 أجريت دراسة في جامعة مانشستر البريطانية على طلاب السنة الأولى، وقد وجد الباحثون بأن الشعور بأن للحياة معنى مرتبط بتصاعد مستويات (الرفاه الاجتماعي) وانخفاض معدلات القلق، والاكتئاب، بل إن الدراسة وجدت أن الطلاب الذين قالوا: إن لهم أهدافاً واضحة كانوا أكثر قدرة على مواجهة التحديات الاجتماعية والأكاديمية، وكانوا أكثر صموداً في الأزمات.

المعنى إذن ليس رفاهية داخلية، بل احتياج عاطفي ملحّ، وحين لا يجد الشاب معنى لحياته يظهر لديه عدد من المشاعر:

– فراغ داخلي.

- ضياع.

- نقص في القيمة.

- انعدام الحافز.

- تذبذب في الاختيارات.

- قلق عميق حول المستقبل.

إن الإنسان يمكنه تحمل الألم، وصعوبات الحياة حين يكون لحياته معنى، لكنه لا يتحمل (الفراغ) حين تكون ظروفه ممتازة، وهذا ينطبق على الشباب على نحو أساسي.

في إمكاننا أن نلاحظ أن التشوق إلى المعنى، والجدوى يكون أشد في المجتمعات التي يتعرض فيها الشباب لموجات متناقضة من الأفكار والقيم، فوسائل الاتصال تعرض للشباب اليوم الكثير من المسارات: ريادة الأعمال، السفر، العمل الحر،

الشهرة – من خلال أنشطة المشاهير صانعي المحتوى (يوتيوبرز)، الثقافة، السياسة، الوظائف الحكومية المرموقة ... والشباب يشعرون أن لكل مسار أبعاداً مختلفة، وهنا يبدأ الصراع الداخلي: أي مسار على الواحد منهم أن يختار؟ وكيف يعرف أنه اختار المسار الصحيح؟

إن على الناضجين، وأهل الخبرات المرموقة مساعدة الشباب على اكتشاف تدريجي للمعنى الذي يستحق الاهتمام، والعمل الدؤوب.

الحاجة إلى الاعتراف والتقدير

لعلي أقول في البداية: إنه ليس هناك من لا يبتهج باحترام الآخرين، وتقديرهم، حيث إن وعي الإنسان بذاته لا يكتمل إلا من خلال ما تعكسه مرايا الآخرين، فالتقدير ينعش روحه، ويحرك طاقته، ويزيد في ثقته بنفسه، ولعل هذا هو المعنى النبيل الذي يكمن خلف قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))[4] وقوله: ((...ومن صنع لكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه))[5].

هذه القضية جوهرية جداً بالنسبة إلى الشباب، حيث إن لديهم شعوراً داخلياً يقول: أريد أن أشعر أنني مرئي، ومقدَّر، وأن وجودي له أثر في عيون الآخرين. يؤكد عدد من الأبحاث والدراسات أن الإنسان على نحو عام، والشباب على نحو

[4] رواه أحمد وغيره.
[5] رواه أبو داود والنسائي.

خاص يربط قيمة ذاته بمقدار اعتراف الآخرين بجهده، وقدراته، وهذا يجعل مرحلة الشباب حسّاسة جداً لنبرة المديح، وحِدَّة النقد، وحِدَّة المقارنة لأن قيمة الذات لديهم مازالت في طور التشكل.

في دراسة أجرتها جامعة هارفارد عام 2018 على 1600 شاب ظهر أن 78% من المشاركين قالوا: إنهم يشعرون بضيق، أو قلق إذا لم يتلقوا اعترافاً من محيطهم الاجتماعي، بل إن نسبة كبيرة منهم قالت: إن نظرة الآخرين لهم تحدد سلوكهم بنسبة 50%.

والسبب في ذلك يعود إلى أن الشاب يعيش مرحلة انتقالية يخرج فيها من حضن العائلة إلى ساحة المجتمع، ويبدأ بقياس نفسه عبر ثلاثة مستويات:

1- كيف يراني الآخرون؟

2- كيف ينبغي أن أكون في عيونهم؟

3- كيف يمكن أن أصل إلى هذا؟

إن هذا يختلف تماماً عن سؤال الهوية، لأن الهوية داخلية على حين أن الاعتراف خارجي.

وتشير دراسة حديثة إلى أن الدماغ البشري في مرحلة المراهقة المتأخرة، والشباب المبكر يكون حساساً للإشارات الاجتماعية حيث تنشط مناطق المكافأة حين يحصل الشاب على إشارات قبول أو إعجاب، وتنخفض حين يشعر بالرفض، أو التجاهل، وهذا يفسر الارتياح الكبير الذي نشعر جميعاً به حين تلقى منشوراتنا على وسائل التواصل كثرة التعليقات، والإعجابات، والمشاركات، وكل ما يعبر عن الاهتمام والتقدير، وهذا أيضاً يفسر شعور الشاب بالحزن، والضيق إذا لم يتفاعل أحد مع منشوراته، وإذا تم تجاهله في لقاء اجتماعي، أو إذا لم يُمدح

على إنجاز قام به. إن الأمر ليس سطحياً، إنه بيولوجي ونفسي في آن واحد.

في دراسة أجرتها جامعة طوكيو عام 2020 وجد الباحثون أن الشاب الذي يشعر أن المجتمع يقدر جهوده يكون أكثر قدرة على اتخاذ القرارات، وأكثر ثقة بنفسه، وأقل عرضة للتقلبات المزاجية على حين أن الشاب الذي يعاني من نقص الاعتراف يعيش في حالة من الحساسية الاجتماعية التي تربكه في أبسط التفاعلات.

لكن لابد من أن أقول للشباب: إنه لا ينبغي لحب المرء للاعتراف أن يتحول إلى اعتماد كلي على الآخرين، بل عليه أن يتعرف على قيمته من خلال جهده وإنجازه.

ثقافة الاعتراف:

الاعتراف والتقدير حاجة مجتمعية، وشبابية، وهذه الثقافة تشكل عنواناً كبيراً للذوق الاجتماعي، والتحضر، وتفهم مشاعر الآخرين، وإن قوله سبحانه: ((ولقد كرمنا بني آدم))[6] يؤسس لخلق الاحترام، والتقدير حيث إن الأصل في النظرة إلى بني البشر تقوم على التكريم. وإن من جمال ثقافة التقدير، أن نعبر عن مشاعرنا على نحو إيجابي، وأنيق تجاه أي عمل خيّر، ونافع، وتجاه أي مبادرة كريمة، أو موقف نبيل، ومن جمالها أيضاً أن نكون عادلين في توزيع الثناء، فنختار لكل موقف، وكل فعل ما يناسبه من ذلك، فالإسراف في الثناء ضار مثل الشحّ به، وتسوية الناس فيه مجحف في حق بعضهم.

[6] سورة الإسراء: 70.

ثقافة الاعتراف تعني أن يكون الاعتراف والتقدير جزءاً من سلوكنا اليومي، ولهذا فإن من المهم تنشئة الصغار، وتعويدهم النطق بكلمات الشكر والامتنان.

القلق من الغد

من أقوى المشاعر لدى الشباب، وأكثرها خفاءً الشعور بالقلق تجاه المستقبل، وليس المقصود هنا الخوف من الرسوب في امتحان قادم، وعدم العثور على الوظيفة المناسبة في المستقبل، وإنما المقصود ذلك القلق الوجودي المرتبط بالزمن، وبالتغيرات السريعة للعالم، وبالشعور بأن التعامل مع المستقبل سيحتاج إلى قدرات أكبر مما هو متوفر للناس اليوم. الكل يعاني من نوع من الخوف من المستقبل لكن الشباب يعانون أكثر من غيرهم لأنهم على عتبة الحياة، وهم في حاجة إلى المال من أجل بناء أسرة، وفي حاجة إلى وظيفة، أو العمل في مشروع ناجح، وهذا ليس من هموم أبناء الأربعين والخمسين.

تشير دراسة عالمية واسعة لعام 2022 شملت أربعين دولة إلى أن الشباب بين سن (18–38) يسجلون أعلى مستويات (القلق

المستقبلي) مقارنة بباقي الأعمار الأخرى. وقد ذكرت الدراسة أن أبرز أسباب هذا القلق هي:

1- عدم الاستقرار الاقتصادي.

2- التنافسية العالمية في سوق العمل.

3- تسارع التغير التقني.

4- الضبابية السياسية.

5- تغير المناخ، والتحولات العالمية.

كل هذه العوامل تجعل الشباب يشعرون أن الزمن يجري بسرعة أكبر من قدرتهم على اللحاق به.

وتشير دراسة أخرى من جامعة أمستردام عام 2021 إلى أن الشباب يعيشون حالة تسمى حالة (الذات المثقلة بتوقعات المستقبل) إذ يتوقع المجتمع من الشاب أن:

- يختار تخصصاً مناسباً.

- ينجح بسرعة دون تأخر.

- يستقل مالياً.

- يكون ناضجاً.

- يعرف أهدافه.

- يكون اجتماعياً.

- يوازن حياته.

هذه المطالب تولّد ضغطاً نفسياً هائلاً على الشباب.

إن غموض المستقبل يولّد أكبر مصدر للضغط على الشباب لأنه يضعهم أمام ثلاث فجوات في آن واحد: فجوة المعرفة؛ فالشاب لا يعرف ما الذي سيحدث، وفجوة القدرة: هو لا يعرف هل يستطيع امتلاك الأدوات المطلوبة للنجاح. أما الفجوة الثالثة

فهي فجوة الهوية، فهو لا يعرف بالضبط الوضعية الشعورية والفكرية التي ينبغي أن يكون عليها، وهذه الفجوات، وما تولده من أسئلة، وحيرة هي فوق طاقة معظم الشباب.

تُظهر دراسة حديثة عام 2023 من جامعة سيول أن الشباب الذين يعانون من القلق حيال المستقبل يزداد لديهم:

- التردد.
- الخوف، والحساسية من الإخفاق.
- الحاجة للمقارنة من أجل فهم الذات، والوضعية الخاصة.
- الانسحاب من المنافسة.
- الشعور بعدم الجدارة.

ما العمل؟

لن أقول ما سأقوله من باب تطييب الخواطر، أو رفع المعنويات، وإنما أقوله بناء على رؤية وحدس، وتجربة... إن القلق من المستقبل شعور طبيعي يرافق كل الأجيال، لكن لا يجوز أن يتحول إلى خوف يربكنا، ويشلّ إرادتنا.

المستقبل لم يكن في يوم من الأيام فضاء مغلقاً، بل كان ميداناً للفرص الجديدة، والتكيف، وتدوير الزوايا، وكما أن الأجيال الماضية استطاعت أن تتعامل مع تحولات كبرى – من الثورة الصناعية حتى ثورة الاتصالات – فإن الشباب اليوم قادرون بإذن الله تعالى على التعامل مع ثورة الذكاء الاصطناعي، والروبوتات.

تشير دراسات دولية حديثة إلى أن التقنية ستوجد عشرات ملايين الوظائف الجديدة خلال العقدين القادمين، وأن الوظائف

التي ستظهر قد تكون أكثر تنوعاً، وابتكاراً، وقد يكون الحصول عليها يتطلب أهلية، وتعليماً أعمق مما تحتاجه الوظائف التي ستختفي إلا أن المستقبل لا يغلق الأبواب، بل يعيد فتحها بطرق مختلفة، ومع ذلك فإن أعظم أبواب الطمأنينة تجاه المستقبل لا تكمن في المعرفة، والتقنية، وإنما في الإيمان بمعونة الله تعالى. وتيسيره، وفيض كرمه: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً))[7]. أي هو كافيه، لا يُسلْمه، ولا يضيّعه. وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدَكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته))[8].

[7] سورة الطلاق: 2،3.
[8] رواه ابن ماجه.

القسم الثاني

كيف يفكر الشباب

تمهيد

يمتلك الشباب نمطاً خاصاً في التفكير يميزهم عن الأطفال من جهة، وعن الراشدين من جهة أخرى. هذا النمط لا يرتبط بالنضج العصبي فحسب، وإنما يرتبط بشكل أعمق بمرحلة الشباب المعرفية، وسعة اطلاعهم، وحدّة وعيهم بالتحولات من حولهم، فمرحلة الشباب هي لحظة الانتقال من التفكير المنغلق إلى التفكير الاستكشافي حيث ينفتح العقل على فرضيات، ويتجاوز البداهات البسيطة، ويبدأ في اختيار الأفكار على أرض الواقع.

تشير دراسات علم النفس المعرفي إلى أن الشباب يدخلون ما يسمى مرحلة (التفكير الصوري) وهي المرحلة التي يصبح فيها الإنسان قادراً على التعامل مع المفاهيم المجردة، والاحتمالات، والفروض العقلية، وليس فقط الحقائق المباشرة، هذا الانتقال يمنحهم القدرة الواسعة على التساؤل، والتنظير، والتخيل... كما

أن أبحاثاً في (المرونة المعرفية) تشير إلى أن الشباب يملكون أعلى مستويات القدرة على تبديل وجهات النظر، وإعادة تفسير المعلومات، واستيعاب الأفكار الجديدة بسرعة. هذه المرونة تجعل عقولهم أقلّ تمسكاً بالمسارات التقليدية للفهم، وأكثر شغفاً بالتجريب، والمقارنة، والتنقل بين المذاهب الفكرية، ولهذا فإن الشباب يميلون إلى التقاط الأفكار بسرعة سواء أكانت دينية، أم فلسفية، أم سياسية، ثم الدخول في مرحلة نقدها وبنائها من جديد.

يفيد عدد من الدراسات إلى أن الشباب يميلون إلى ما يسمى (التفكير الاحتمالي) وهو التفكير الذي ينظر إلى العالم على أنه شبكة فرص، ومسارات بديلة، وحلول متعددة. هذا النمط من التفكير يساعد الشباب على الابتكار، ورؤية إمكانات جديدة في الواقع لا يراها في العادة أبناء الخمسين والستين، لكن الشباب يرتبكون أحياناً لكثرة الخيارات التي يفتحها هذا التفكير أمامهم.

يميل الشباب كذلك إلى التفكير المعياري القيمي، إذ يبحثون عن معنى لأفعالهم، ويقارنون بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، وقد ذكر أحد الباحثين أن الشباب يميلون إلى تكوين (فلسفة شخصية) تجاه الحياة، وهذا يجعلهم يميلون إلى التفكير النقدي، ومراجعة المسلَّمات السائدة، وصياغة قناعاتهم الخاصة.

وهكذا فإن تفكير الشباب هو تفكير استكشافي، احتمالي، مرن، نقدي، واسع الأفق، يتشكل عند مفترق الطرق بين المعرفة الجديدة، والبحث عن الذات، والوعي المتزايد بالعالم، وما فيه من أسئلة كثيرة، وسنرى ملامح هذا في الصفحات التالية.

التحيزات الإدراكية لدى الشباب

يمتلك الشباب قدرات عقلية عالية على مستوى سرعة المعالجة، وحيوية الخيال، وقوة الذاكرة، لكنهم في المقابل يقعون أكثر من غيرهم تحت مجموعة من التحيزات الإدراكية التي تشكل طريقة رؤيتهم للعالم، وصنع قراراتهم. هذه التحيزات ليست عيوباً عقلية بقدر ما هي اختصارات معرفية، يلجأ إليها الدماغ من أجل توفير الطاقة، والاقتصاد في الجهد لكنها قد تصبح مصدراً للتسرع، وسوء التقدير.

أبرز هذه التحيزات تحيز (الثقة الزائدة) فقد أبرزت دراسة حديثة أن الشباب بين سن (16–24) يقيّمون قدرتهم على النجاح على نحو مبالغ فيه، وأعلى بكثير من تقييم الخبراء. هذا التحيز يعطيهم طاقة المبادرة، والاندفاع لكنه قد يجعلهم يقفزون نحو مشروعات، أو علاقات، أو اتخاذ قرارات غير محسوبة.

هناك أيضاً (تحيز الجماعة) حيث يميل الشباب إلى تبني آراء مجموعاتهم الاجتماعية دون تفكير نقدي، فقد أظهرت دراسة لجامعة برمنغهام عام 2021 أن الأشخاص في هذا العمر يتأثرون بآراء أصدقائهم أكثر من تأثرهم بالحقائق التجريبية. هذا التحيز يعمّق الشعور بالانتماء لكنه يضعف الاستقلالية الفكرية، والموقف الموضوعي.

ويظهر لدى الشباب بوضوح (تحيز الحداثة) وهو الميل إلى تقدير الجديد على حساب القديم دون مسوّغ عقلاني ظاهر؛ فهم يعتبرون كثيراً من الأفكار الجديدة أكثر صواباً لمجرد أنها جديدة، وتشير دراسات في علم الأعصاب إلى أن جهاز المكافأة لدى الشباب يتفاعل مع (الجِدّة) على نحو أكبر مما هو عند الناضجين، وعند المراهقين.

لدى الشباب أيضاً (انحياز التأكيد) وهو الميل للبحث عن الأدلة التي تؤكد معتقداتهم. ويفسر هذا الانحياز انجذاب

الشباب للمحتوى الرقمي الذي يتوافق مع تصوراتهم، مما قد يوجِد لديهم (فقاعات فكرية) أي قناعات سريعة التشكل، وسريعة الزوال.

تؤثر هذه التحيزات في التعلم، وضع القرارات، والعلاقات مع الآخرين، والنظرة للمستقبل، لكنها في الوقت نفسه تمنح الشباب مزايا سرعة اتخاذ القرار، الحماس، الجرأة، التطلع نحو التجديد، ولذلك لا ينبغي التعامل مع هذه التحيزات على أنها عيوب يجب الخلاص منها، بل التعامل معها بوصفها طاقة معرفية تحتاج إلى تهذيب بالخبرة، والتوجيه، والنقاش النقدي.

هذه التحيزات تشكل القاعدة الذهنية التي ينطلق منها الشباب في فهم العالم، وهي وحدها كافية لتفسير سلوكهم من دون الحاجة إلى ربطها بأي عوامل اجتماعية، أو اقتصادية...

هذا الكلام الذي أكتبه هنا وفي كل موضع من هذه الرسائل، هدفه زيادة وعي الشباب بأنفسهم وطرق تفكيرهم.

المثالية الزائدة

المثالية نزعة ذهنية، وأخلاقية تدفع الإنسان إلى تخيل الصورة الأكمل للأشياء، والحكم على الواقع انطلاقاً مما ينبغي أن يكون، لا مما هو كائن.

المثالية هي: التمسك بالمعايير العليا، وتوقع الكمال في النفس، والناس، والظروف مع ضعف التسامح مع العيوب، وأوجه النقص.

المثالية سمة مركزية في مرحلة الشباب، وهي حالة بنيوية ناتجة عن اجتماع طاقة العاطفة، وحِدَّة الذاكرة، وسعة الخيال، واستعداد الدماغ لتصور الحالة الكاملة.

المثالية هنا ليست من التحيزات الإدراكية التي تحدثنا عنها، وليست من الأخطاء الفكرية، بل هي رؤية قيمية للعالم كما ينبغي أن يكون.

يشير بعض الأبحاث الحديثة إلى أن لدى الشباب أعلى مستويات التطلع إلى العدالة، والمثالية الأخلاقية مقارنة بجميع الأعمار الأخرى، وهذا هو الذي يجعلهم يتطلعون للصداقات الكاملة، والعلاقات الصافية، والنجاح السريع، والوظائف المثالية، ويضعون لكل ذلك أعلى المعايير.

المثالية تمنح الشباب القدرة على أن يحلموا بالأحلام الكبيرة، وتدفعهم إلى نقد الواقع بجِدَّة، وتحثهم على رفض الظلم، لكن المشكلة، أن الشباب يصطدمون في أول احتكاك بالحياة بصلابة الواقع. كثير من الشباب يظن أن العلاقات ينبغي أن تكون بدون عيوب، وأن العالم سيمنحهم الفرصة عند أول طلب لهم... وقد أظهرت دراسة ألمانية عام 2021 أن أكثر أسباب الإحباط لدى الشباب هو الفرق بين (الواقع كما هو) و (الواقع كما ينبغي أن يكون) في أذهانهم.

تتجلى مثالية الشباب في ثلاثة مجالات رئيسية: العلاقات، العمل، الهوية.

في العلاقات يبحث الشباب عن الصديق المثالي، والشريك المثالي – أزواج وزوجات – ويشعرون بخيبة الأمل حين يكتشفون التناقضات الطبيعية في الآخرين.

في العمل يرغب الشباب في وظائف تأتي بالمال، ويكون لهم بها شغف، وتأثير، وحرية في وقت واحد.

في الهوية يسعون إلى تشكيل صورة ذاتية مكتملة، وهذا قد يستغرق سنوات طويلة من التجربة، والخطأ.

مع كل هذا، فالمثالية ليست عيباً، بل هي قوة تاريخية ساهمت في التغيير عبر العصور، والشباب هم الذين دفعوا حركات الإصلاح السياسي، والتحديث الاجتماعي، والنهضة الفكرية لتعمل على إيجاد مجتمعات جديدة.

إن المطلوب ليس كبح المثالية، بل موازنتها بالحكمة. وقد أفادت دراسة لجامعة تورنتو عام 2020 أن الشباب الذين يجمعون بين المثالية والتخطيط الواقعي يحققون أعلى درجات الرضا النفسي، والنجاح العملي.

إن المثالية لدى الشباب هي صوت المستقبل، وهي مصدر لا يستهان به للصلابة الداخلية، ومقاومة الرضوخ للواقع السيئ، لكن كما نقول دائماً: الشيء إذا خرج عن حده انقلب إلى ضده.

الثقافة الرقمية والتأثير في بنية التفكير

إذا أردنا تعريف (الثقافة الرقمية) تعريفاً موجزاً، فيمكننا القول: إن الثقافة الرقمية هي مجموعة المعارف، والمهارات، والقيم التي تمكّن الفرد من فهم التقنية الحديثة، والتعامل معها بوعي وأمان، وتشمل الثقافة الرقمية استخدام المعلومات، وتحليل المحتوى، والتواصل عبر المنصات، واتخاذ القرارات الرقمية في الحياة اليومية.

تعد الثقافة الرقمية العامل الأكبر في تشكيل الوعي المعاصر للشباب ليس لأنها تقدم محتوى جديداً فحسب، بل لأنها تغير بنية التفكير نفسها، حيث إن ما يقوم به العالم الرقمي هو إعادة برمجة الانتباه، والذاكرة، وسرعة الاستجابة، وتوقعات العقل للحوافز.

تشير دراسة نشرت عام 2023 إلى أن 95% من الشباب يستخدمون وسائل التواصل يومياً، وأن متوسط ذلك الاستخدام يتجاوز خمس ساعات. هذه الأرقام تكشف أن العالم الرقمي صار المجال الرئيس لتشكل الوعي.

من آثار الثقافة الرقمية:

1- تجزئة الانتباه: أظهرت دراسة في جامعة كاليفورنيا عام 2021 أن الانتباه لدى الشباب يتنقل بين المهمات كل 19 ثانية في وسط الاستخدام المتداخل للهواتف، حيث ينتقل الشخص من التصفح إلى الدردشة، إلى مشاهدة بعض المقاطع، إلى رؤية الرسائل المنبّهة بصورة متشابكة، تجعل التركيز مجزّأً.

2- ثقافة الصورة: حيث تتراجع قوة النص، والتحليل أمام قوة الصورة السريعة مما يسهم في تبسيط المواقف المعقدة.

3- المقارنة المستمرة: المقارنة المستمرة تزيد من الضغط النفسي لدى الشاب حيث يرى المحتوى الرقمي المصقول، والمتقن لدى الآخرين.

4- التعلم السريع، ونظام المكافأة: يعيد العالم الرقمي برمجة الدماغ ليبحث عن المكافأة الفورية عوضاً عن المكافآت بعيدة المدى، وهذا شيء سلبي جداً لأن الدماغ حين يعتاد على المكافآت الفورية عبر التعليقات، والإعجابات، ورؤية المشاهد القصيرة يصبح أقل رغبة في المكافآت المؤجلة، والتي تكون عادة في التعلم العميق، وقراءة النصوص الطويلة، والعمل على إنجاز مشروع كبير.

خلاصة:

الثقافة الرقمية تعيد تشكيل بنية التفكير عبر تسريع الإدراك، وتكثيف المعلومات، فتمنح وعياً أوسع، واتصالاً أسرع، لكنها

في الوقت نفسه، تُضعف العمق، وتُربك الانتباه، وتنمّي التشتت، وتعيد برمجة التحفيز نحو الفوري والقصير. إنها تمد العقل بأدوات غير مسبوقة، لكنها تنزع منه صبر التأمل، وطاقته على البناء المتدرج.

أقول للشباب: استخدموا العالم الرقمي بوعي، واستفيدوا من سرعته، ومعلوماته لكن احموا تركيزكم، مارسوا التأمل، خصصوا وقتاً للتعلم العميق، ولا تجعلوا المكافآت الفورية تتحكم بسلوككم.

المنظور الاقتصادي لدى الشباب

يمتلك الشباب اليوم منظوراً اقتصادياً يختلف جذرياً عن منظور الأجيال السابقة سواء من حيث طريقة فهمهم للمال، أو إدراكهم لأدوات النجاح المالي، أو رؤيتهم للمخاطر والفرص. هذا المنظور ليس معزولاً، بل هو نتاج مجموعة معقدة من العوامل: الظروف الاقتصادية العالمية، الثورة الرقمية، التحولات الثقافية، تبدل مفهوم العمل نفسه.

لفهم كيفية التفكير الاقتصادي لدى الشباب لا بد من تحليل هذا التكوين الذهني من زوايا عدة: الوعي المالي، توقعات المستقبل، تصور النجاح، العلاقة مع المخاطرة، البحث عن معنى اقتصادي يتجاوز مجرد الكسب، والحصول على المال.

1- الوعي المالي: لدى الشباب فجوة بين ما لديهم من معرفة بشؤون المال وبين الواقع، وقد أشارت دراسة صدرت عام

2021، وشملت 20 دولة إلى أن 65% من الشباب يفتقرون إلى المعرفة المالية الأساسية، مثل الادخار، إدارة الديون، المخاطر، التأمين، مقاومة الإنفاق العاطفي... على الرغم من أنهم شديدو الاهتمام بالمال وفرص الثراء. هذه الفجوة بين الرغبة والمهارة تؤدي إلى:

- قرارات مالية مرتجلة.
- الاندفاع نحو الربح السريع.
- الإفراط في الاقتراض.
- التعلق بالمظاهر المالية.

ومع ذلك فإن الشباب يمتلكون القدرة على التعلم السريع للمسائل المالية حين تتوفر لهم أدوات التعليم المناسبة لأن عقلهم الاقتصادي مازال في مرحلة التشكل.

2- البحث عن الاستقلال المالي: الشباب في بدايات العشرينيات و (جيل Z) يربطون بين الاستقلال المالي والاستقلال الشخصي وتشير إحدى الدراسات الحديثة إلى أن 72% من الشباب يرون أن أول علامة لـ (البلوغ الحقيقي) هو تحقيق استقلال مالي. 54% يرون أن الوظيفة المستقرة أهم من الزواج. 61% يعتبرون أن الادخار المبكر شرط أساسي للأمان. هذه الأرقام تُظهر أن المال عند الشباب ليس غاية، بل هو رمز للسيطرة على الحياة، ووسيلة لتخفيف القلق الوجودي، والذي تضاعف بسبب ما يشهده العالم من تقلبات.

3- منظور الفرص: المال عند الشباب اليوم ليس خطياً، وقد كانت الأجيال السابقة ترى الاقتصاد على شكل مسار مستقيم:

ادرس ← احصل على وظيفة ← ترقَّ ← سيأتي المال تدريجياً، لكن الشباب اليوم يرون الاقتصاد بطريقة مختلفة

تماماً، فهو في نظرهم عبارة عن منظومة مفتوحة، مليئة بالفرص الصغيرة المتناثرة.

فكرة المسار الاقتصادي المستقيم لم تعد مقنعة لهم، وهم يميلون إلى:

- الدخل المتعدد.
- العمل الحر.
- المشروعات الصغيرة.
- بيع المعرفة، والمهارات.
- اقتصاد المنصات.
- اقتصاد الاهتمام[9].

[99] اقتصاد الاهتمام: هو نموذج اقتصادي حديث ينظر إلى الانتباه البشري على أنه سلعة قيمة.

تشير دراسة صادرة عن كلية هارفارد لإدارة الأعمال عام 2022 إلى أن 55% من الشباب الأميركي يمتلكون على الأقل مصدر دخل ثانٍ غير الوظيفة التقليدية.

4- الحسّ العالي بالمخاطرة: الشباب أكثر ميلاً للمخاطرة الاقتصادية من الكبار، فهم بسبب عدم اكتمال القشرة الجبهية لديهم يميلون إلى الربح السريع أكثر من الحذر البعيد، هذا ليس سلبياً دائماً، فقد أنتج هذا الميل ملايين المشروعات الصغيرة، والابتكارات لكنه أيضاً يفسِّر:

- اندفاع الشباب نحو العملات الرقمية.

- الاستثمار غير المدروس.

- الثقة المفرطة بالقدرات الذاتية.

إنهم يرون العالم على أنه مائدة للفرص، لكنهم أحياناً لا يدركون الخلفيات الاقتصادية المعقدة وراء هذه الفرص.

5- تعرضهم الكبير لثقافة الثراء السريع: قد لعبت (الثقافة الرقمية) دوراً حاسماً في تشكيل نظرة الشباب للمال حيث يعرض بعض المنصات قصص نجاح مبالغاً فيها، وأخبار مراهقين أصبحوا يملكون الملايين، ومحتويات تحفز على المقارنة المستمرة.

أشارت دراسة بريطانية صادرة عام 2020 إلى أن 70% من الشباب يشعرون بضغوط مالية بسبب المحتوى البصري الذي يعرض صوراً لحياة مترفة. 47% من الشباب يشعرون أن دخلهم غير كاف لحياة جيدة على الرغم من أن معظمهم لم يدخل سوق العمل بعد. هنا يظهر الصراع بين توقعات ضخمة وواقع اقتصادي محدود.

خلاصة:

الشباب لا يريدون الانغماس في اقتصاد مفروض عليهم، بل يريدون اقتصاداً يصنعونه بأنفسهم.

وعلى الرغم من أن منظورهم مملوء بالاندفاع إلا أنه أيضاً مملوء بالطاقة، والسعي الجاد، والابتكار.

إن فهم هذا المنظور يساعد الآباء، والدعاة، وصانعي السياسات على صياغة برامج أكثر واقعية، وأكثر ملاءمة لعقلية الجيل الجديد.

خاتمة

الحمد لله أهل الثناء، والمجد، وصلى الله، وسلم على نبينا محمد نبي الرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

في ختام هذه الرسالة يظل السؤال الأهم: ما الذي أرجوه للشاب المسلم وهو يتقدم في طريق الحياة؟

إن جميع ما تم تقديمه هنا من أفكار، ومعارف، وتحليلات لا يهدف إلى رسم طريق واحد، ولا إلى فرض نموذج جاهز، وإنما يهدف إلى مساعدة الشاب على أن يفهم نفسه أولاً، والعالم من حوله ثانياً؛ فالحياة بكل تقلباتها هي رحلة في اكتشاف الذات، وفي تعلم كيفية التفاعل مع الآخرين، ومع الواقع بطريقة أكثر حكمة.

إن المحصلة التي نخرج بها من خلال عشرات الدراسات التي استعرضناها، تكمن في أن أهم ما يحتاج إليه الشاب اليوم هو

(التوازن): توازن بين الحماس الفطري الذي يميز هذه المرحلة من العمر وبين البصيرة التي تمنعه من الاندفاع غير المحسوب. توازن بين العاطفة التي تمنحه الشجاعة، والدفء وبين العقل الذي يمنحه الاتجاه، والانضباط. توازن بين الرغبة في التغيير السريع وبين إدراك أن أعظم التغيرات يبدأ صغيراً، ثم ينضج بالتدرج، والصبر.

في قلب هذا التوازن يقف (الوعي بالذات) فالإنسان الذي يعرف طاقاته، وحدوده، وميوله، ومخاوفه هو إنسان قادر على اتخاذ قرارات أفضل، بالإضافة إلى التمييز بين ما يأتي من داخله وبين ما يأتي من ضغوط الآخرين.

الوعي بالذات ليس من الكماليات، بل هو شرط للنضج، وهو البوصلة التي تساعد الشاب على الاتساق مع قيمه، وعلى ثباته حين تحيط به المغريات، والظروف الصعبة.

إن وصيتي لكل شاب يقرأ هذه الصفحات أن يجعل من نفسه مشروعاً يومياً للتحسين، أن يراقب مشاعره، فلا يبالغ فيها، وأن ينصت لعقله، فلا يهمله، وأن يوازن بين العفوية والحكمة، وبين الطموح والواقعية.

الوفاء للمبادئ، والقيم هو سفينة النجاة في الأمواج المتلاطمة؛ والله مولانا.

المؤلف

فهرس الموضوعات

مقدمة

القسم الأول: كيف يشعر الشباب:

- تمهيد.
- الطبيعة الوجدانية لدى الشباب.
- التساؤل حول الذات.
- العطش للجدوى والمعنى.
- الحاجة إلى الاعتراف والتقدير:
- ثقافة الاعتراف.
- القلق من الغد:
- ما العمل؟

القسم الثاني: كيف يفكر الشباب:

- تمهيد.
- التحيزات الإدراكية لدى الشباب.
- المثالية الزائدة.
- الثقافة الرقمية، والتأثير في بنية التفكير.

- خلاصة.
- المنظور الاقتصادي لدى الشباب.
- خاتمة.